نفط فينزويلا: نحو إنهاء الهيمنة الأمريكية!

29-12-2004

ومن الواضح أن توسع العلاقات مع الصين في مجال الطاقة، هو خيارُ فينزويلا الأفضل لوضع حد لـ"100 سنة من الهيمنة الأمريكية" على صناعة نفط البلاد..وتشكل هذه الخطوة "الجريئة" نقطة تغيير هام في اتجاه سياسة فنزويلا في مجال الطاقة، بعيدا عن علاقتها الثنائية القديمة والتي امتدت لعقود مع واشنطن

طمأن الرئيس هيوجو شافيز شركات النفط والغاز الصينية من أن عقودها مضمونة في فينزويلا، وتتسع للاستكشاف وإنتاج النفط الخام والغاز، وكذا بناء المصافي والمحطات البتروكيمياوية. ويحاول شافيز بهذا، التحرر من قيود العلاقات القديمة والمديدة مع الولايات المتحدة في مجال الطاقة، مراهنا على تعطش الصين للنفط، لتحقيق هذه "الاستقلالية" عن الوصاية والقبضة الأمريكية.
وقد وقع الرئيس شافيز ثمان اتفاقيات في بيجين، تضع الأسس لتمكين شركات النفط الصينية من الوصول إلى مشاريع النفط والغاز في فينزويلا، ومن ضمن ذلك الاستكشاف والإنتاج، وبناء خطوط الأنابيب الجديدة، وأيضا مصافي ومحطات بتروكيمياوية. ومن الواضح أن توسع العلاقات مع الصين في مجال الطاقة، هو خيارُ فينزويلا الأفضل لوضع حد لـ"100 سنة من الهيمنة الأمريكية" على صناعة نفط البلاد..
وتشكل هذه الخطوة "الجريئة" نقطة تغيير هام في اتجاه سياسة فنزويلا في مجال الطاقة، بعيدا عن علاقتها الثنائية القديمة والتي امتدت لعقود مع واشنطن. وقد بدأ في إعادة ترتيب قوات فينزويلا المسلحة بالتعاون مع روسيا والصين وفرنسا، والشيء نفسه، ينطبق على صناعة نفط فينزويلا.
غير أن عملية التحرر هذه من التبعية الأمريكية التي يراها شافيز بأنها تهدد أمن فينزويلا القومي، سوف لن تحدث بسرعة. إذ من المؤكد أن الشركات الصينية تنتظرها صفقات "جيدة" في مشاريع الغاز والنفط الفينزويلي، لكن، مثل شركات النفط الأجنبية الأخرى، ستختار المشاريع بعناية وتتفاوض حول الشروط بقوة. ذلك أن بيئة فينزويلا الاستثمارية غير مشجعة حاليا، خاصة بالنسبة لشركات الغاز والنفط، حيث إن دستور البلاد الذي قُرر في العام 1999، والذي يتسم بالطابع التقييدي، وكذا قانون الهيدروكربون الذي صدر في 2001، والمراسيم الرئاسية الأخيرة، التي ترفع من قيمة الضريبة على الأنشطة المشتركة الإستراتيجية الأجنبية مع شركة "بيتروليوس دي فينزويلا"، ليست حوافز إيجابية للمستثمرين المتوقعين.
وعلى أية حال، فإن نفط فينزويلا الخام الضخم واحتياطيات الغاز الطبيعي فرصة مغرية لشركات النفط والبلدان التي تحتاج إلى مزيد من موارد الطاقة، إلى درجة أن الصين ساقها عطشها للطاقة إلى الشرق الأوسط وأفريقيا، أين يحتدم التنافس حول تجهيزات الطاقة القابلة للتصدير، لذا، فإنه من المحتمل أن كلا البلدين، فنزويلا والصين، سيهتديان إلى طرق للتعامل مع قوانين الاستثمار التقييدية.
والصين ترغب كثيرا في الاستثمار في مشاريع الطاقة عالية المخاطر فيما يتعلق بالأرباح. والعنصر الأساس بالنسبة لبيكين هو إما أن يمنح شافيز ضمانات للمستثمرين الصينيين، بأن الحكومة الفنزويلية لن تتدخل أو تعرقل استثماراتهم أو أنها تسحب استثماراتها. ويظهر أن شافيز قدم مثل هذه الضمانات.
في هذه الأثناء، فإنه ليس من المحتمل أن يقلل شافيز بشكل فعال نشاطات شركات النفط الأمريكية، مثل ChevronTexaco، التي تستثمر في فينزويلا منذ 80 سنة، إذ لا يكسب أي شيء اقتصاديا بالتضييق على استثمارات شركة النفط الأمريكية في فينزويلا.
علاوة على ذلك، فإن أي تحرك ينظر إليه كتقييد لعمليات النفط الأمريكية الخاصة بشكل غير قانوني في فينزويلا، من شأنه أن يثير التوترات مع إدارة بوش، ويزعج الدائنين الأجانب المتخصصون في تمويل مشاريع الطاقة الرئيسية..
وفي المحصلة، فإنه من المحتمل أن تتحرك حكومة شافيز نحو تضمين الشركات الصينية وغيرها من الشركات والمستثمرين غير الأمريكيين في مشاريع الطاقة. وهذا الميل سيصبح أكثر وضوحا وبشكل تدريجي خلال السنوات العشر القادمة، خاصة مع توسع قطاعات النفط والغاز في فينزويلا. في حين من المحتمل أن تبقى الصادرات النفطية الفينزويلية إلى الولايات المتحدة بدون تغيير حوالي 1.5 مليون برميل في اليوم، أو في أسوأ الأحوال قد تنخفض إلى مليون برميل يوميا خلال الخمس أو العشر سنوات القادمة.
ومن المحتمل أيضا أن شركات الطاقة الشرق الأوسطية والهندية والفرنسية والروسية والإسبانية ستُشرك في التوسع المستقبلي لصناعات الغاز والنفط في فينزويلا، حيث دعا شافيز هذه شركات هذه البلدان للاستثمار في قطاع الطاقة في فينزويلا أثناء زياراته المتكررة خلال السنة الماضية. ويبدو أن الصين، وإلى حد بعيد، هي اللاعب المهم وبشكل إستراتيجي في مخطط شافيز الكبير لتوسيع صناعات الغاز والنفط الفينزويلية، والذي يهدف أيضا إلى تخفيض العلاقات الثنائية مع الولايات المتحدة في مجال الطاقة، حيث لازالت شركات النفط الأمريكية تتمتع بالنفوذ السياسي الأقوى في كركاس، والعصر الأمريكي في النفط الفينزويلي بلغ الذروة..